

وحدة العمل الإسلامي في القطر الواحد.. (11)



الأربعاء 13 أبريل 2022 10:40 ص

وحدة العمل واجب شرعى

إن وحدة العمل الإسلامي عموماً أمنية عزيزة، وواجب شرعى، وضرورة تفرضها طبيعة المرحلة التى تمر بها الدعوة الإسلامية التى بدأ المسلمون فيها يصحون من غفوة، وينهضون من كبوة ويلتقون على ضرورة العمل على إقامة دولة الإسلام وخلافته من جديد، وقد ظن أعداء الإسلام بعد غزوهم لبلاد المسلمين بكل ألوان الغزو، وبعد إسقاطهم الدولة والخلافة، وبعد غرسهم هذا الكيان الصهيونى فى قلب الوطن الإسلامى، ظنوا أنهم قد قضوا على الدعوة الإسلامية ولن تقوم لها قائمة.

ولكن يابى الله ذلك ورسوله والمؤمنون؛ فكانت الحركات الإسلامية المعاصرة فى مصر والهند وغيرها، وفى مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين و التى امتدت حتى غطت الساحة الإسلامية بل العالمية والجماعة الإسلامية فى الهند وباكستان وبنجلاديش وجماعات إسلامية فى أقطار أخرى، فإذا بنا نجد الحياة تدب من جديد فى جسد الأمة الإسلامية، ونجد هذه الصحوة الإسلامية ونلمس روح الجهاد والتخلص من سلطان أعداء الإسلام فى بقاع مختلفة من أرض الإسلام.

كل هذه الظروف تحتم على العاملين الصادقين فى حقل الدعوة الإسلامية عالمياً وداخل كل قطر توحيد الجهود وتضافرها لإعادة بناء الدولة و الخلافة على أساس متين وفهم سليم ومنهج صحيح.

وقد اثبتت الأيام و التجارب توفيق الله للإمام الشهيد حسن البنا عند إنشائه لجماعة الإخوان المسلمين فى تحديد الهدف و الفهم و المنهج وطريق السير ، وقد حرص رضوان الله عليه التزام طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحركة بالدعوة بأن ركز على قضية الإيمان والعقيدة السليمة وبناء الفرد المسلم المؤمن المجاهد.

فاهتم بنشر الدعوة وتوضيح الفهم الصحيح للإسلام كمنهاج شامل للحياة وكذلك اهتم بقضية الحب والأخوة، تلك الرابطة القوية التى لا بد منها فى صفوف العاملين المجاهدين، وترسم رضى الله عنه منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يوصى الإخوان بالصبر والتحمل والثبات، ويعلمهم أن طريق الدعوة شاق وطويل، وملء بالأشواك والمحن والابتلاءات، ويوضح لهم كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوصى المؤمنين الأول، وهم يعذبون بالصبر ويبشرهم بالنصر وبالجنة، ولم يطلب منهم رد عدوان المشركين بالقوة ولكن بعد أن قامت الدولة بالمدينة بدأ رد العدوان وشارك صلى الله عليه وسلم بنفسه فى معظم الغزوات.

وبالتزام الإخوان لهذه السياسة الحكيمة، وباهتمامهم بالتربية وبالحب وبالأخوة وبالصبر والثبات شاء الله لهم عندما تعرضوا للمحن والابتلاءات أن يخرجوا منها أصلب عوداً وأشد تماسكاً، وأكثر حرصاً على تحقيق الهدف الذي قامت من أجله جماعتهم، وها هي تواصل سيرها، وتمتد فروعها، وتعمق جذورها، ويشتد ساقها، وتستعصي على الأعداء أن يقتلعوها، وفي هذا المعنى يقول الشهيد سيد قطب - رحمه الله - وحينما سلط الطغاة الأقرام الحديد و النار على الإخوان كان الوقت قد فات، وكان البناء الذي أسسه حسن البناء قد استطلال على الهدم، وتعمق على الاجتثاث ، كان قد استحال فكرة لا يهدمها الحديد و النار ... واستعلت عبقرية البئاء على الطغاة الأقرام فذهب الطغيان وبقى الإخوان.)

ثم نجده رحمه الله في موضع آخر يقول: (المرة تلو المرة ينتاب بعض أفراد الجماعة نزوات وفي كل مرة يسقط أصحاب هذه النزوات كما تسقط الورقة الجافة من الشجرة الضخمة أو تذهب عنهم تلك النزوات، وقد يمسك الأعداء بفرع من فروع هذه الشجرة ويحسبون أنه باجتذابه سيقتلعون الشجرة فإذا جذبوا ذلك الفرع إليهم خرج في أيديهم جافاً يابساً كالحطبة الجافة لا ماء فيها ولا ورق ولا ثمار.)

وفي ختام هذه السلسلة حول وحدة العمل الإسلامي أوصى الإخوان بالتزام الموقف الذي حدده لنا الإمام الشهيد بالنسبة لغيرنا من الجماعات و الهيئات الإسلامية ، وهو موقف الحب والإخاء و التعاون و الولاء، نحبهم ونعاونهم، ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر، ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً ينتصر به الحق، وندعوهم في أسلوب لين يستهوي القلوب وتطمئن إليه العقول، وتجنب تجريح الأشخاص والهيئات، ونصبر على أى أذى ينالنا ممن ندعوهم إلى الله ولا نقابل السيئة بالسيئة } وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور. }

وليطمئن الإخوان أن المستقبل لهذا الدين وأن نصر الله آت رغم طول ليل الظلم والظلام، ولكننا نخضع في سيرنا لسنن الله التي لا تتبدل } أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء و الصراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب. }

علينا فقط أن نأخذ بالأسباب، وأن نبذل كل ما نستطيع من جهد وعمل وإنفاق، وأن نسلك في ذلك الطريق الصحيح ثم قبل ذلك وبعده أن نخلص النية لله، ولسنا بعد ذلك مسئولين عن النتائج.

ويطيب لي أن أختم هذه السلسلة بكلمات خالدة للإمام الشهيد متصلة بالمعاني التي تناولناها.

يقول رضي الله عنه في رسالة "الإخوان المسلمون تحت راية القرآن": (أيها الإخوان المسلمون أيها الناس أجمعون ... في هذا الصخب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريرة، التي تلدها الليالي الحبالى، في هذا الزمان وفي هذا التيار المتدفق الغياض من الدعوات التي تهتف بها أرجاء الكون وتسرى بها أمواج الأثير في أنحاء المعمورة مجهزة بكل ما يعري و يخدع من الآمال و الوعود والمظاهر نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين... هادئة ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة... متواضعة ولكنها أعز من الشم الرواسى... محدودة ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعاً... خالية من المظاهر الزائفة و البهرج الكاذب... ولكنها محفوفة بجلال الحق وروعة الوحي ورعاية الله... مجردة من المطامع و الغايات الشخصية و المنافع الفردية ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين في العمل لها السيادة في الدنيا و الجنة فى الآخرة.)

وفي رسالة المؤتمر الخامس يوجه الحديث الى المتحمسين من الإخوان فيقول: (أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم ، اسمعوا مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع: إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، موضوعة حدوده... ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول...، أجل قد تكون طويلة، ولكن ليس هناك غيرها إنما تظهر الرجولة بالصبر و المثابرة و الجد و العمل الدائب؛ فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقتطف زهرة قبل أوانها؛ فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة، وتنبت الشجرة، وتصلح الثمرة، ويحين القطف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين... إما النصر والسيادة، وإما الشهادة و السعادة.

أيها الإخوان المسلمون:

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنبروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تميلوا كل الميل فتدروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلبة، ولكن غالبوها، واستخدموها، وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر، وما هي منكم بعيد.)

أيها الإخوان المسلمون:

إنكم تتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه، وذلك مكفول لكم ما دتم مخلصين، ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال، ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون فلنا أجر الفائزين المصيبين، على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم، ولا إنتاج إلا مع خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون؛ فلا تقامروا بجهودكم، ولا تغامروا بشعار نجاحكم واعملوا والله معكم، ولن يترككم أعمالكم، والغور للعاملين } وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم. }

منقول بتصريف من كتاب "وحدة العمل الإسلامي في القطر الواحد" لالأستاذ مصطفى مشهور رحمه الله.

